

الشیطان شاطر*

قصة: أحمد فراج

حليل أعلن رئيس لجنة المناقشة .. منح الطالب درجة الدكتوراة .. بتقدير امتياز .. مع مرتبة الشرف .. ابتسم .. انبعث بخار الفرح من شفثيه .. ارتفع .. اقترب من عينيه .. امتزج بدموعه .. تكثف .. تحول إلى مرآة وردية .. تعكس صورة أمه .. تحتضنه .. تقبله تهته .. صورة أبيه .. يهرع نحوه .. ومن خلفه .. تركض حداث السعادة .. شعر بأطواق الورود .. تتراحم حول عنقه .. تفتحت زهور الأحلام .. فاح عطر النجاح ..

صورتي بصفة دائمة .. في المجلات .. في الجرائد .. في «التلفزيون» .. سأكون حديث أهل بلدي لمدة لا تنتهي .. ابتسم .. نظرت حوله .. لكن ما هذا؟ .. ما كل هذه الرداهات السرية المنتشرة على الجانبين؟ .. وإلى أين تؤدي؟ .. وماذا يحدث بداخلها؟ .. ولماذا كل هذه الحراسة البشرية؟ ألا تكفي هذه اللاتقات التي تحذر من الاقتراب منها؟ .. إن الوصول إلى هذا المكان هو المستحيل بعينه .. إن نظام حماية هذه الوكالة يكفي لحماية شعب بأكمله من أعتى اعتداء عسكري .. ما علينا .. أنا موظف جديد .. ولا أعرف كيف تدار هذه المعاهد المتقدمة .. ربما كان هناك ما يستدعي وجود هذا النظام ..

حين اقترب من باب المكتب .. انفتح الباب آلياً .. قام مدير الوكالة .. رحب به ..
- ستفيدنا كثيراً .. وسوف تستفيد أيضاً .. ربما أكثر مما تفيدنا ..
فهنا يعمل أفضل علماء الأرض ..
- أشكر لك ثقتك الغالية .. وأرجو أن يوفقنا الله من أجل خدمة العلم والبشرية .. وقع بصره .. على مجموعة من نماذج سفن الفضاء .. تشالنجر .. فيكنج ون .. فيكنج تو .. أبوللو .. ديسكفري .. ظهرت على وجهه آثار الدهشة ..
- فيم تفكر؟

- لا شيء .. كنت أشاهد هذه النماذج في المجلات والكتب فقط ..
- ها أنت تراها رؤيا العين .. وتعمل في أحدثها أيضاً .. هذا هو نموذج السفينة التي ستعمل في مشروعها .. إلى الآن لم نطلق عليها اسماً .. ابتسم .. ثم أكمل ..

- وهما أنت تستعجل البدء في العمل .. قم افحص هذه النماذج جيداً .. فسوف يساعدك هذا على فهم السفن الحقيقية ..
قام .. اقترب من النماذج .. بدأ فحصها .. شرد فترة .. سأل نفسه .. كيف استطاعوا صناعة كل هذا؟ .. كيف؟ .. إنها أشياء تشبه

كلما سمع تهته .. رد باللغة العربية ..

- الحمد لله

- التوفيق من الله

- الشكر لله

حين يقف أحد المهنيين .. ليستفسر

- ماذا قلت؟

يكرر الإجابة باللغة العربية .. قبل أن تفرغ الصالة .. اقترب منه شخص .. قدّم له باقة ورد ..

- مبروك .. أنت محظوظ .. سيؤهلك هذا البحث للعمل في أفضل

معهد في العالم .. حيث لا يعمل سوى أفضل العلماء ..

- شكراً لهذه التهته اللطيفة .. لكن من أنت؟

- أنا مندوب وكالة الأبحاث الفضائية .. ومكلف بإبلاغك برغبة

الوكالة في أن تعمل لديها ..

- لماذا أنا بالذات؟

- نستطيع أن نتابع كل الأبحاث العلمية في مجال الفضاء .. باهتمام شديد ..

والنتائج التي توصلت إليها على درجة كبيرة من الأهمية .. وسوف تفيدنا كثيراً ..

فتح حقيبة يده الرقمية .. أخرج بعض الأوراق ..

- هذا هو عقد العمل .. وكل الأوراق الضرورية .. ما عليك سوى قراءتها جيداً .. والتوقيع عليها .. وسوف أعود إليك في وقت لاحق ..

في الردهة المؤدية إلى مكتب مدير المعهد .. أحس أن أهميته زادت ملايين المرات .. أحس أنه يسير نحو الشمس .. نحو مملكة المجد .. حيث ينوي الإقامة حتى الأبد .. نظرت حوله .. عشرات من الدوائر التلفزيونية المغلقة .. عشرات من عدسات التصوير السرية .. عشرات من أجهزة الإنذار المبكر .. عشرات من أجهزة الكمبيوتر .. حدث نفسه بصوت منخفض .. لقد فتحت أبواب الأمل .. ولن تغلق مرة أخرى .. سيفخر بلدي بي .. سيفتخر بي أهلي .. أقاربي .. أصدقائي .. ستشتر

* فازت هذه القصة بجائزة تشجيعية في مسابقة القصة القصيرة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

ما لهؤلاء الناس! .. لا يبحثون إلا

عن الخراب والدمار والفزع؟!

- يمكنك التأكد بنفسك.
- هذا الحجم ضروري جداً .. ولا يمكن حذف أي جزء منه.
- لكن.
قاطعه.
- هذا الموضوع ليس من اختصاصك و ..
انطلق صوت من آلة مثبتة في المكتب .. لمس المدير أحد الأزرار الضوئية .. سمع بعض الكلمات .. ارتبك .. توتر .. اندفع خارج الغرفة مسرعاً ..
- دع هذا الموضوع الآن .. إن لم أعد لك بعد قليل أرجو أن أراك غداً، ففكر قليلاً .. سأل نفسه .. لماذا ارتبك هكذا؟ .. ولماذا تحدثت معي بكل هذه العصبية؟ هل هو اكتشافي لأحد أخطائهم؟ .. إنني على يقين من صواب فكري .. هل هذا الجزء هام إلى هذه الدرجة؟ .. ما هي وظيفته إذن؟ .. ولماذا لم يقل؟ يبدو أنني لا أعرف الكثير من أهداف هذا المشروع السرية.
قطع خيط أفكاره .. صوت المدير .. ينبعث من نفس الآلة .. أدرك أنه نسي أن يلمس الزر الآخر .. قبل أن تصل يده إلى الزر .. تذكر أنه ليس من حقّه وضع يده على ما لا يخصه .. أعاد يده .. سمعه يصرخ.
- إلى متى ستعارض هذا الموضوع؟ .. إلى متى؟
- أنا قائد الرواد .. ومن حقّي أن أعترض ..
- وأنا مدير الوكالة كلها .. وأتحمل المسؤولية كاملة.
- إن هذا الأسلوب غير إنساني.
- لا بد من إجراء التجارب على هؤلاء الأشخاص أو على غيرهم وهم أفضل.
- ليس بهذا الأسلوب الجبري.
- إنهم يمثلون خطراً على مجتمعنا .. وعلى أفكارنا .. وهم في السجون منذ زمن .. أي في عداد الأموات .. وأنت تعرف أنه لا بد من إجراء هذه التجارب من أجل جميع البشر.
- أنا لا أقتنع بهذه الشعارات البراقة الكاذبة.
- إذا استمرّ اعتراضك هكذا .. سأضطر لإعفائك من مهمتك .. وسوف أبلغ السلطات وأنت ..
لم يكمل الإستماع .. قام .. خرج من الغرفة غاضباً .. وهو يحدث نفسه بصوت مرتفع .. الآن فقط تأكدت من صحّة ظنوني .. الآن فقط عرفتُ ماذا يحدث في هذه الدهاليز السرية .. الآن فقط عرفت لماذا وضعوا كل هذه النظم الأمنية داخل المعهد .. كل ما قاله أبي .. كان صحيحاً .. الشيطان شاطر .. ها هم يجرون تجارب إجبارية على البشر .. ومن يعرف .. ماذا يحدث غداً ..
ضحك بصوت مرتفع .. التفتّ حوله الحرس .. ساروا خلفه .. سألوه.
- ماذا تقول ..؟
- لماذا تضحك هكذا؟

المعجزات .. بناء هندسي محكم .. مولّدات طاقة مصغرة .. أجهزة «إلكترونية» شديدة التعقيد .. آلات تحكم عن بعد متناهية الدقة .. وقود نووي .. أطعمة مضغوطة .. أذرع آلية .. أذان صناعية للتصنّت .. أعين صناعية للتصوير .. محولات ومولّدات لأشعة «اكس» .. «الليزر» .. كيف توصّلوا إلى كل هذا ..؟ كيف؟ .. وما هو الدافع وراء هذا؟ .. أريد أن أصدق ما يقولونه .. لكنني لا أستطيع .. هل هذا صحيح؟ هل صنعوا كل هذا من أجل سعادة البشر؟ .. لا .. لا .. لا أستطيع أن أصدق هذا .. إنني أحسّ بأشياء كثيرة .. تثبت عكس ذلك .. لقد أتيتُ إلى هنا منذ فترة طويلة جداً .. عشتُ هنا .. أكملتُ دراستي .. تفاعلتُ مع هذا المجتمع بكل مكوناته .. عرفت كيف تسير الحياة فيه .. عرفت ما هو هدف هذا المجتمع من الحياة .. إنهم يعملون من أجل أنفسهم فقط .. من أجل حاضرهم .. من أجل مستقبلهم .. حاولتُ كثيراً أن أصدق .. لم أستطع .. كل ما قاله أبي .. كان صحيحاً .. كنتُ أحسبه مجرد كلام .. مجرد حديث مكرّر .. كلما أعاد تحذيراته لي من الحياة في هذه المجتمعات .. كنتُ أضحك.

- لا تخف يا أبي .. اطمئن .. أنا إنسان مسلم لا أقرب المحرّمات.
كان يكرّر جملة واحدة .. كلما سمع هذا الرد.
- ولو .. إن الشيطان شاطر.
كل ما قاله كان صحيحاً .. ليس من السهل التغلّب على إغراءات الحياة في هذه المجتمعات .. فالشيطان شاطر بالفعل .. لكن فيما العجلة .. ربّما كانت إدعاءاتهم صحيحة .. أنا موظف جديد .. وسوف أعرف الكثير بمرور الوقت .. إن بعض الظنّ إثم ..
حين اقترب من سفينة الفضاء .. تسمّر في مكانه .. هبّت عليه عواصف الإعجاب العاتية .. تساقطت فوقه ثلوج الدهشة .. تراكمت .. كادت أن تغرقه .. تذكر ثقته في دينه .. في نفسه .. في وطنه .. اشتعلت نأز إرادته .. ذابت ثلوج الدهشة .. بدأ فحص السفينة .. اقترب من المصعد الكهربائي .. دخل .. ضغط الزر .. ارتفع .. فحص معمل الأبحاث .. مقر القيادة .. مقصورة الرّواد .. سرقته فكرة جريئة .. عاد إلى المصعد، ضغط على زر الهبوط .. هبط قليلاً .. توقف .. ألقى نظرة فاحصة .. أكمل الهبوط .. على الفور .. توجه إلى مكتب مدير الوكالة.
- لقد فحصتُ السفينة .. وأعتقد أنه يمكن اختزال جزء كبير من حجم مقصورة الرّواد بسهولة تامة.

- مستحيل .. مستحيل .. كيف تقول هذا؟
- حذف هذا الجزء سيفيد المشروع من كل الزوايا.
- ماذا تقول؟ .. وكيف عرفت هذا؟ .. مستحيل .. مستحيل

**كم تمنيت أن أعيش العصور
الإسلامية الزاهية الخيرة!!**